

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

قراءة سوسولوجية لواقع علم الاجتماع العربي " بين الواقع والمأمول "

A sociological reading of the reality of Arab sociology Between Reality and Hope

الأستاذ الدكتور: بداوي محمد سفيان

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد بوضياف المسيلة - المسيلة - الجزائر .

badaouisofian@yahoo.fr

طالبة دكتوراه: مرابط ايمان

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد بوضياف المسيلة - المسيلة - الجزائر .

imane.merabet@univ-msila.dz

الملخص:

إن نشأت علم الاجتماع الغربي تختلف كثيرا عن ما هو موجود في المجتمعات العربية ، فقد تعرض المجتمع الغربي إلى مجموعة من الظروف السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية ، التي أثرت على التفكير الاجتماعي مما دفع علماء الاجتماع إلى الانشغال و الاهتمام بقضايا المجتمع الغربي الذي ساهم في ظهور النظريات الاجتماعية المفسرة للواقع الاجتماعي المعاش ، يقابلها المجتمع العربي المسلم الذي عانى الحروب والعديد من المشاكل والتحديات التي استنزفته ، جعلته يختلف كثيرا عن المجتمع الغربي ، وهذا يؤدي إلى ضرورة إضفاء هوية خصبة بعلم الاجتماع في الوطن العربي ، خاصة وأن المنشغلون في علم الاجتماع العربي وصفوا بالتبعية للغرب وستراد النظريات الغربية في معظم ممارساتهم البحثية والأعمال الاجتماعية .

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

وعلى هذا الأساس تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على تعريف علم الاجتماع ونشأته وأهم رواده ودوره وواقعه في الوطن العربي مع التطرق إلى علم الاجتماع في الجزائر نموذجا.

الكلمات المفتاحية: علم الاجتماع - الدور - المكانة - القضايا - المجتمع.

Abstract:

The emergence of European sociology is very different from what exists in Arab societies. European society was exposed to a set of political, economic, intellectual and cultural circumstances, which affected social thinking, which prompted sociologists to become preoccupied and interested in the issues of European society, which contributed to the emergence of social theories that explain reality. social pension , corresponding to the Arab-Muslim community, which suffered from wars and many problems and challenges that drained it, made it very different from the European community, and this leads to the need to give a special identity to sociology in the Arab world, especially since those engaged in Arab sociology were described as subordination to European scientists and the importation of European theories in Most of their research practices are social work. On this basis, this research paper aims to shed light on the definition of sociology, its emergence, its most important pioneers, its role and reality in the Arab world, while addressing sociology in Algeria as an example.

Key words: Sociology - role - status - issues – society

مقدمة:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى مناقشة مكانة وواقع علم الاجتماع في الوطن العربي ، حيث يعتبر ابن خلدون السباق لهذا العلم والذي سبق الباحثين والعلماء الأوروبيين فأطلق عليه علم العمران ، وبذلك من المفترض أن علم الاجتماع هو علم عربي المنشأ ، فلقد أدرك ابن خلدون عن اكتشافه لعلم الاجتماع وموضوعه الخاص به ، إذ أنه من العلوم الجديدة التي غفل عنها السابقون من العلماء ومع هذا يسعى الكثير من الباحثين العرب إلى استرداد النظريات الغربية بمختلف مناهجها واسقاطها على المجتمع العربي مهملين الفوارق المجتمعية الغربية والعربية .

حيث يعتبر المجتمع العربي بمختلف خصائصه وسماته موضوع الدراسة و الأبحاث لدى علم الاجتماع في الوطن العربي ، وبذلك فهو يتطلب نظريات وأساليب وتقنيات منهجية ملائمة لخصوصياته الثقافية و المجتمعية والدينية والحضارية و التاريخية وغيرها من السمات التي تميزه عن المجتمعات الغربية خاصة ، وهنا يؤكد علي الكنز أن النظريات الغربية التي

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

يعتمدها الكثير من الباحثين العرب لم تعطينا الأدوات الآزمة لمعالجة قضايا واقعا الذي يختلف في تكوينه عن واقع المجتمعات الغربية والذي يتميز بدرجة التعقيد ، فإن علم الاجتماع الغربي كان قراءة علمية مفصلة للمجتمع الغربي ، حيث يعتبر هذا العلم غربي من حيث المنشأ وينسجم مع واقع هذا المجتمع ويعبر عن ظواهره ومشكلاته الاجتماعية التي يعمل على تفسيرها ومعرفة أسبابها بهدف تحقيق الاستقرار والتوازن ، لهذا يجب على المختصين في علم الاجتماع العربي الاهتمام بدراسة واقع المجتمع العربي وبمشاكله وتاريخه وبمفهوم الفرد العربي ، مع التصدي لمختلف العقبات والعراقيل التي حالت دون تأسيس لعلم اجتماع عربي وتغطية عقم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع في محاولته لدراسة المجتمع العربي وطرح مختلف مشكلاته على أرضية البحوث العلمية .

وهذا ما يدفعنا لطرح التساؤل التالي: هل يوجد علم اجتماع عربي في الواقع وما هو دوره ومكانته مقارنة مع الغرب؟

أولا: تعريف علم الاجتماع ومظاهر نشأته في الوطن العربي

1. تعريف علم الاجتماع: لا تزال مشكلة وضع تعريف محدد لعلم الاجتماع قائمة نتيجة مجموعة من العوامل المختلفة أهمها:

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

1. "تنوع علم الاجتماع منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الوقت الراهن، وتطور هذا التراث وتعدد مشكلاته وقضاياها المختلفة.

2. اختلاف علماء حول طبيعة المحور الأساسي الذي يقوم عليه علم الاجتماع ذاته، والذي يحدد نقطة اهتماماتهم وانطلاقتهم الأساسية.

3. تباين نوعية النظريات والمناهج وطرق البحث والأساليب التي يتبناها الباحثين، عند تناولهم القضايا ومشكلات علم الاجتماع وعند دراستهم لها على المستويين النظري أو الميداني.

4. اختلاف الاتجاه الايديولوجي الذي يعتنقه الباحثين والعلماء عند تحديد اهداف دراستهم وتناولهم للمشكلات والظواهر الاجتماعية والتي تدخل في عملية اعداد اهداف البحث السوسيولوجي عامة " (عبدالله محمد، 1999، صفحة 48)

" إن علم الاجتماع معني بدراسة الحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الإنسانية. إنه مشروع مذهل وشديد التعقيد لأن موضوعه الأساسي هو سلوكنا ككائنات اجتماعية ". (انطوني ، 2005 ، صفحة 47)

تعريف اوجست كونت: لم يضع اوجست كونت تعريفا محددا لعلم الاجتماع، بقدر ما نجده أكد على أهمه وجود هذا العلم ليدرس كل الظواهر التي تدرسها العلوم التي سبقت على ظهور علم الاجتماع.

تعريف هيربرت سبنسر: تصور أن تحديد علم الاجتماع بأنه العلم الذي يصف ويفسر نشأة وتطور النظم الاجتماعية مثل الأسرة، والضبط الاجتماعي والعلاقات بين النظم المختلفة. علاوة على أن علم الاجتماع يقوم بمقارنات متعددة بين المجتمعات على اختلاف انواعها لمعرفة تطورها. (عبدالله محمد، 1999، صفحة 49).

تعريف إميل دركهايم: "كان دركهايم يرى في علم الاجتماع علما يمكن استخدامه لا ضاح الأسئلة الفلسفية التقليدية بتمحيصها على أسس إمبريقية ". (انطوني ، 2005 ، صفحة 36)

تعريف فيبر: " يضع تعريف مميز لعلم الاجتماع، بأنه العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي وذلك من أجل الوصول إلى تفسير سببي لمجراه ونتائجه " (عبدالله محمد، 1999 ، صفحة 50)

تعريف علم الاجتماع في الفكر العربي: كانت البدايات الأولى في تحديد علم الاجتماع من حيث المفهوم في كتابات ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع.

موضوع علم الاجتماع عند ابن خلدون: هو " واقعات العمران البشري أو ما يسمى اليوم بالظواهر الاجتماعية وابن خلدون لم يحاول تعريف هذه الوقائع نظريا أو بيان طبيعتها وخصائصها، ولكنه اكتفى بالتمثيل لها، فقال: أنه لما كانت طبيعة

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الانساني والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بأعمالهم ومعاشهم من الكسب والمعاش والعلوم وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال ". (احمد رافت ، 1982 ، صفحة 12.11)

وهنا نجد أن ابن خلدون تناول موضوع علم الاجتماع باعتباره علم العمران الذي يدرس الواقع البشري والظواهر الاجتماعية.

أما هشام يعقوب مريزيق : "يرى أن علم الاجتماع يتميز عن العلوم الاجتماعية الأخر بميزة أساسية في موضوعه الذي يهتم بدراسة الطبيعة الإنسانية للمجتمع وكيفية الحفاظ على توازنه وهذا ما وضحه في قوله أن علم الاجتماع هو : ذلك العلم الذي يدرس الطبيعة الإنسانية للمجتمع وأساليب الحفاظ على التركيبة الثقافية والسياسية ، ويقصد به آخرون ذلك العلم الذي يعني بدراسة الأفراد والجماعات والمؤسسات التي تشكل المجتمع الإنساني ويشير إليه البعض بصفته العلم الذي يعالج الاتجاهات السائدة والسلوك وأنماط العلاقات داخل المجتمع ." (بوقرة و همال، 2016 ، صفحة 234)

2. مظاهر نشأة علم الاجتماع في الوطن العربي:

ارتبطت نشأة علم الاجتماع في الوطن العربي بواقع الاستعمار الذي طبع العلم والفكر بما يخدم مصالحه، بالإضافة إلى توظيف البحوث والدراسات السوسولوجية و الأنثروبولوجية لمعرفة مختلف مكونات بناء وأنساق المجتمع العربي لخدمة وتكريس مصالح الاستعمار، وقد ظهرت أسماء مشهورة هنا من أمثال سيلجمان، وإيفانز برتشارد، ودليل كمان ، وترمنجهام ، و بول ريدش وغرهم ، وكذلك الإداريين الذين يرسلهم المستعمر لإدارة مستعمراته ، كلهم ساهموا في إرساء نظريات ومنهجيات غربية والتي أثرت على البحوث الاجتماعية في الوطن العربي .

أما البحوث والدارسات العربية في فترة بعد الاستقلال يمكن تصنيفها بحسب الجامعات والمراكز فيما يلي:

1) الجامعات: ممثلة في أقسام علم الاجتماع التي توجد فيها، حيث يوجد في الوطن العربي مئات الجامعات

يوجد في معظمها أقسام لعلم الاجتماع والبحوث الاجتماعية ويمكن تصنيف تلك البحوث إلى ثلاث مستويات:

أ-المستوى الأول: هو مستوى تدريبي كما هو في بحوث الليسانس.

ب-المستوى الثاني: يأخذ شكله العلمي الأكثر انضباطا ودقة وهو مستوى الماجستير والدكتوراه.

ج-المستوى الثالث والأخير: يرتبط بالبحوث الخاصة التي يجريها الأساتذة أنفسهم أعضاء هيئة التدريس لسبب الترقيات أو البحوث الاستشارية.

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

2) المراكز والمجالس القومية : مثل المركز القومي للبحوث الجنائية والمركز القومي لمكافحة الجريمة والمركز القومي للبحوث الاجتماعية والاقتصادية بالسودان ومعهد العمل الاجتماعي بالمغرب المركزي للبحوث والتحليل لسكان والتنمية (CENEAP) ، والمركز الوطني للبحوث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC) ، أضف إلى ذلك البحوث والدراسات الاجتماعية والسوسولوجية التي تقوم بها جهات غير حكومية مثل منتدى العالم الثالث بالقاهرة ، مركز دراسات الوحدة العربية التابعة لجامعة الدول العربية ، المركز العربي للبحوث الأمنية معهد الإنماء العربي .

3-المؤسسات والمصالح والوزارات الحكومية: التي لها اهتمام خاص بإجراء بعض البحوث والدراسات ذات الطبيعة الخاصة بعملها مثل وزارة الشؤون الاجتماعية ووزارات التربية والتعليم ووزارات الصحة والصناعة ووزارة الداخلية وغير ذلك.

كل هذه الجهات والمؤسسات التي تم ذكرها يمارس فيها شكل من أشكال البحث السوسولوجي مما أدى ذلك إلى تراكم هائل من البحوث الاجتماعية على نطاق القطر الواحد وعلى نطاق العربي ككل (بوقرة و همال، 2016، صفحة 231) .

ولكي تتمكن من رصد مراحل نشأة علم الاجتماع نبدأ بمصر كنموذج كون أن مصر لها أثر في التعليم وكل ما يرتبط به من مناهج ومؤلفات وتراجم وأساتذة وغير ذلك في الوطن العربي، وهناك ثلاثة مراحل أساسية مر بها علم الاجتماع في مصر.

1-المرحلة الأولى : فترة الخمسينيات من هذا القرن وهي الفترة التي سبقت ثورة يوليو وتعتبر فترة مهمة جدا لأنها شهدت البذور الأساسية التي نمت منها علم الاجتماع في مصر كما أنها تركت آثارها على نشأة أقسام علم الاجتماع بالجامعات العربية بما في ذلك وضع مقررات التدريس تخطيطا وتأييفا وتدريبا ، فهي بكل المقاييس فترة تأسيسية بالنسبة لعلم الاجتماع ولقد تركت بصمتها واضحة على مستقبل التخصص وعلى دوره في الحياة الاجتماعية في الوطن العربي وبنظرة سريعة إلى القضايا والمواضيع التي شكلت هموم الرواد الأوائل نجد أنها تمثلت في إبراز طابع علم الاجتماع وأهمية ضرورة التخصص فيه وتمييزه عن غيره من العلوم الاجتماعية لأن معظم كتابات ومؤلفات الرواد الأوائل تناولت بتركيز شديد التعريف بعلم الاجتماع وبموضوعاته وأهميته الفائقة في دراسة المجتمع ، ويتجلى هذا في كتاب "نيقولا حداد" (علم الاجتماع) سنة 1924 الذي يعتبر أول عنوان يحمل تأليفا في المكتبة العربية ... فقد تطرق كتاب نيقولا في جزئيه لقضايا مثيرة للأمة العربية في ذلك الوقت.

ومن الكتب المهمة التي ظهرت في تلك الفترة كتاب **عبد العزيز عزت** سنة 1949 "علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية" الذي ناقش فيه أهمية علم الاجتماع ودوره في فهم مشكلات المجتمع متبنيا و مترجما لأعمال إميل دوركهايم، وأراد المفكر من هذا الكتاب التعرف بعلم الاجتماع والتأكيد على ضرورة وجوده في الجامعات والمراكز الأكاديمية العلمية في مصر والوطن العربي.

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

كذلك كتاب " **حسن سعيان** " حيث كان من أشهر كتب علم الاجتماع في تلك الفترة في الدول العربية فقد أعده خصيصا ليكون كتاب مدرسي ليعلم المبتدئين أسس علم الاجتماع غطى معظم الموضوعات التي يتناولها هذا العلم ويبين كيفية معالجة الظواهر الاجتماعية. (بوقرة و همال، 2016، الصفحات 232-233)

2-المرحلة الثانية: وهي فترة الستينات ما بعد ثورة يوليو وهنا يتمركز علم الاجتماع في الجامعات والمؤسسات العلمية الأخرى، حيث تم إنجاز رسائل الدكتوراه والماجستير بمعنى فترة الجيل الثاني والثالث الذين تم تكوينهم وتأهيلهم وتدريبهم، وكانت معظم تلك الرسائل في نفس الطريق الذي سار فيه الرواد الأوائل.

أما في نهاية الستينات فقد كان المناخ السياسي والاقتصادي متجها إلى التصنيع والاشتراكية وقد انعكس ذلك على البحث العلمي العربي وشملت معظم الرسائل الجامعية قضايا مثل المشكلات العمالية وأثرها في الإنتاج التي قدمها " **حسن عبد الخالق محمد** " سنة 1968 ، و دراسة اجتماعية لعلاقات العمال بشركة مصر للغزل والنسيج " **لحمي إسماعيل** " سنة 1958، و دراسة مشاكل العمال والعمل بقطاع الشحن والتفريغ " **لعبد الله غانم** " سنة 1969. (بوقرة و همال، 2016، صفحة 233)

3- المرحلة الثالثة : وتمثل فترة ما بعد السبعينات التي شهدت تحولات هامة في المجتمع المصري فهي المرحلة التي أعقبت ما عرف بنكسة 1967 والأثر الذي تركته تلك النكسة على الأمة العربية ومن أثارها توجه البحث إلى القرية المصرية والريف الذي كان محتفظا بهويته ، فقد اهتمت الرسائل المنجزة بالريف بقضاياها ، مرتكزة في ذلك على دراسة القيم والتقاليد وما يطرأ عليها من تغير وما يصاحبها من مشكلات اجتماعية ، وهنا قام الدكتور " **سالم محمود** " بدراسة تقنية للدراسات والبحوث التي أجريت في الفترة عام 1970 إلى 1980 ، وخلص دكتور سالم إلى عدم الرضا عن أغلب الدراسات السوسولوجية في مختلف القرى المصرية وكذلك إسهامات علم الاجتماع في تطوير القرية المصرية أو المجتمع الريفي في الوطن العربي أو الإسلامي . (بوقرة و همال، 2016، صفحة 234)

- أما بالنسبة للمشرق العربي: فقد كانت البحوث الاجتماعية في " لبنان " لا تخرج كثيرا عن إطار المدرسة الفرنسية، وأن معظم البحوث والدراسات هي عبارة عن جهود طلاب دراسات عليا يقومون بإعداد أطروحاتهم للدكتوراه، ولم تتوفر بعد بشكل قوي اهتمامات مؤسسية للبحث العلمي في مجال العلوم الاجتماعية.

وكان علم الاجتماع في "سوريا" يدرس في إطار كليات الآداب، وربما كان تحت مظلة قسم الفلسفة أو أنه لا يبتعد عنها، وكانت الكوادر العاملة في مجال علم الاجتماع متأثرة لدرجة ما بالدراسات الاجتماعية التي كانت سائدة في الأقطار الاشتراكية وتمتاز اهتماماتهم بالفلسفة والأدب بشكل واضح، ولم يكن لعلم الاجتماع مكانة عالية في الجامعات السورية مقارنة بالفلسفة أو التاريخ الاجتماعي.

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

-في حين كانت "العراق" لها اهتمام واسع ومبكر بعلم الاجتماع ، وهناك العيد من الرواد والرموز العلمية من أمثال "علي الوردني و جواد طاهر ومصطفى شاکر" وغيرهم ، وعلى الأخص في جامعة بغداد ، حيث درس علم الاجتماع منذ بداية الستينيات بعد عودة هؤلاء الرواد وقيامهم بالتدريس ونشر أبحاثهم ودراساتهم العلمية ، ولقد تمركزت اهتمامات الاجتماعية العراقية على دراسة ظاهرة التحضر و صراعها مع أسلوب الحياة الرعوي البدوي ، وكذلك دراسة الأسرة وقيمها الاجتماعية ، وتميزت المدرسة العراقية بتنوع مشاريع العاملين فيها ، مما ولد حيوية خاصة في اهتمامات العاملين في حقول علم الاجتماع ومن ثم دراساتهم في الترجمة و التأليف ودراسات ميدانية .

-أما بالنسبة "للأردن" فقد شكل التوسع في إعداد الجامعات ووجود أقسام متخصصة في علم الاجتماع دافعا وحافزا مهما لوجود أعداد كبيرة من المختصين في علم الاجتماع للقيام أولا بتلبية الاحتياجات الملحة لأعضاء هيئة التدريس في هذه الأقسام ، وفي الوقت نفسه بدء ظهور اهتمامات مختلفة بالدراسات والبحوث الاجتماعية سواء من طرف الحكومة لمواجهة العديد من مشاكل التنمية وخصوصا الفقر ومشاكل التكيف مع حياة المدينة ، أو التحولات التي طرأت على الأسرة الأردنية وغيرها ، ولاتزال الدراسات الاجتماعية في الأردن في بدايات مسيرتها .

- أما "فلسطين" ركزت مراكز البحوث فيها على قضايا المقاومة وتشخيص وأوضاع الفلسطينيين، وتعد دراسات "عزمي بشارة وعزيز حيدر" وغيرهم ممثلة للاهتمامات التي تدور في فلكها الدراسات الاجتماعية حسب المختصين في علم الاجتماع. (باقادر و عرابي، 2011)

-شمال أفريقيا: يمكننا الحديث عن مدرسة اجتماعية ذات تأثير مهم في شمال افريقيا عموما و " الجزائر " خصوصا، تأسست على يد مجموعة من المختصين الفرنسيين في فترة الاحتلال الفرنسي، وكانت تهدف إلى معرفة المنطقة وعلاقة الدولة بالبدو أو القبائل فظهرت دراسات "روبرت موننجاي وتلاميذه" والأبحاث المبكرة "لبيير بورديو" ، وكذلك دراسات " لوطنو وبييل وجاك بيرك" ، وشيء من دراسات " لويس فالنسي" وغيرهم ، وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسات إلا أنها تعالج موضوعاتها مصلحة الاستعمار الفرنسي .

ولكن بعد الاستقلال ظهرت اهتمامات جديدة جادة أبرزها : معهد الدراسات والبحوث الاجتماعية الذي ترأسه لفترة عبد القادر الكبير الخطيبي ، وفي هذه الفترة برزت دراسات غاية في الأهمية ، وهنا تعد دراسات " جول باسكو" الميدانية من أبرز النماذج وأفضلها ، وقد تركزت الاهتمامات حول قضية التنمية والتغير الجغرافي ، وتأسس قسم علم الاجتماع في جامعة محمد الخامس برئاسة " محمد جسوس" ، ويعد قسم علم الاجتماع بالجامعة التونسية من أبرز الاقسام سواء من حيث الكوادر من أمثال " عبد الوهاب بوجوبته والهرماسي وطاهر لبيب" وغيرهم ، وتتميز تونس أيضا بمراكزها البحثية التي

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

يجد فيها بعض العلماء الدعم ، أما ليبيا فإن الاهتمام بتأسيس أقسام الاجتماع كان من مهام " مصطفى الثبر " الذي يهتم بالدراسات الحضرية والإيكولوجية عموما . (باقادر و عرابي، 2011)

أما الجزائر: وذلك من خلال نشأة فرع علم الاجتماع بجامعة الجزائر والتي يدرس فيها علم الاجتماع كتخصص أكاديمي ومن أهم المراحل التي عرفت مسيرة علم الاجتماع في الجزائر منذ الاستقلال إلى يومنا هذا:

الفترة الممتدة من 1958 – 1963: تمثل مرحلة السوسولوجيا الاستعمارية الرسمية، حيث تم تأسيس قسم علم الاجتماع بجمهورية سنة 1958، وقد كان التدريس خلال هذه الفترة موجها فقط لأبناء المعمرين الفرنسيين، ومن حيث البرامج فقد كانت تابعة للجامعات الفرنسية في فرنسا.

الفترة الممتدة من 1963 – 1971: إن الميزة الأساسية التي كانت تميز علم الاجتماع في هذه الفترة، أنه علم مزال يمارسه الفرنسيون أنفسهم وذلك لندرة المتخصصين في هذا المجال كما أن الدروس تقدم باللغة الفرنسية ونظام التعلم مرتبط بالجامعة الفرنسية.

الفترة الممتدة من 1971 – 1984: في هذه الفترة نال علم الاجتماع نوع من الاهتمام والعناية به من خلال الإصلاحات التي طرأت عليه وعلى التعليم العالي، أما البرنامج الخاص بعلم الاجتماع والتخصص كان موجود ويعبر عن السلطة الحاكمة، مع ظهور سوسولوجية ناطقة باللغة العربية تأكدت مع قرارات عام 1971 ومرسوم 25 أوت 1973 التي استهدفت جزأت الجامعة وتعريب مناهجها وتغيير أنظمتها البيداغوجية.

الفترة الممتدة من 1984 إلى يومنا هذا: وهنا نال علم الاجتماع التهميش والتقزيم، كما أفرغت البرامج من الشعارات والمفاهيم ذات الصبغة الاشتراكية، وتم الاستغناء عن المنشغلين بعلم الاجتماع. (بن عودة ، الصفحات 152- 154)

إن علم الاجتماع في شمال افريقيا لا يزال خاضع للمدرسة الفرنسية التقليدية الأمريكية في أبحاث بعض الدارسين، وإجمالا تميل الدراسات إلى الدراسات الأنثروبولوجيا وذات الطبيعة متعددة المراحل.

-دول الخليج واليمن: إن علم الاجتماع في دول مجلس التعاون يمر بمرحلة تطور مستمر لأسباب عديدة أهمها أن هذه المجتمعات مرت في العقود القليلة الماضية بتطورات وتحولات مادية سريعة تقتضي عمليات تكيف اجتماعي وثقافي واسعة، وهذا يجعل الحاجة لدراسات علماء الاجتماع وتحليلاتهم الماسة لتوضيح مدى تكيف هذه المجتمعات مع هذه التحولات، حيث تشكل أقسام الاجتماع الخليجية إجمالا رافدا مهما في دراسة ثقافة المجتمعات الخليجية وبنيتها، ويعد مركز التراث الشعبي في قطر معلمة للاهتمام بالتراث والتقاليد في دول الخليج.

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

وكذلك التجربة اليمنية مثلها مثل الجامعة الخليجية مرت بالمؤثرات نفسها، وتشكل اليوم كوادر وطنية طورت الاهتمام بدراسة المجتمع اليمني. (باقادر و عرابي، 2011)

ثانيا: رواد علم الاجتماع ودوره في الوطن العربي

1. أهم أعلام الفكر السوسولوجي في الوطن العربي:

اولا - الأجيال القديمة:

1- الفارابي 870 - 950 م

هو أحد المفكرين المسلمين المختصين في مواضيع السياسة والفلسفة و الاجتماع ، ومن أهم مؤلفاته "السياسات المدنية" ، " أهل المدينة الفاضلة " وأهم المسائل التي اهتم بها الفارابي تحليل حقيقة الاجتماع الإنساني أي دراسة كيفية تأسيس ونشوء المجتمع وتقسيم المجتمعات وأسس المدينة الفاضلة وصفات قائدها ، وهي التي يتعاون أفرادها لتحقيق السعادة ، إضافة إلى تناوله المدينة الفاسقة التي لا تتوفر على شروط المدينة الفاضلة ، ويقسم الفارابي المجتمعات إلى مجتمعات كاملة وهي التي يتحقق فيها التعاون الاجتماعي ، والمجتمعات الناقصة التي لا يحدث فيها التعاون .

2- ابن خلدون 1332-1406 م

- "يعتبر ابن خلدون أول عالم يقرر في صراحة ووضوح نشأة هذا العلم الجديد ، وأنه المنشئ الأول لعلم الاجتماع لأنه أول من استكمل الخصائص المنطقية التي يجب توافرها في كل علم من حيث الموضوع والمنهج والأغراض التي يرمي إليها ، وقد كان أول من عرض لدراسة هذا العلم بهذه الطريقة ، فالفضل في انشاء علم الاجتماع يرجع اليه ، لا كما يدعي الايطاليون بأن فضل ذلك يعود إلى " فيكو " (1668 - 1744) ولا كما يدعي الفرنسيون بأن فضل ذلك يعود إلى أوجست كونت (1798 - 1857) ، وإنما الفضل يعود إلى هذا المفكر العربي المسلم الذي ظهر قبل هؤلاء جميعا بعدة قرون " . (احمد رافت ، 1982، صفحة 12)

اهتم ابن خلدون بتاريخ المجتمعات البشرية فدرسها دراسة علمية تعتمد على إعمال العقل وتبني النقد لتصحيح المعارف والأخبار عن شعوب سبقتهم، ويقسم المجتمعات إلى مجتمعات ريفية سماها المجتمعات البدوية ذات خصائص معينة، تتميز بالكثافة والعصبية والتماسك والتعاون وذات طابع زراعي، ومجتمعات تعيش في المدن تتميز بالتحضر ووفرت المؤسسات النفعية ومختلف الوسائل الحضارية، وعلاقات اجتماعية ضعيفة.

ثانيا - الأجيال الحديثة:

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

البدایات الأولى للمنتج السوسيولوجي العربي الحديث أتت على أيدي غير المختصين ، فكانت أعمالهم ممهدة لنشأة علم الاجتماع في مصر والعراق مختصون في الفلسفة والاقتصاد والقانون نذكر منهم :

1- قاسم أمين: وضع كتاباته كمحاولة لدراسة وضعية المرأة في المجتمع المصري وقضايا تحريرها.

2- أحمد فتحي زغلول: بين في كتابه "سر تقدم الإنجليز الساكسونيين" وأوضح أن العرب مختلفون عن بقية الشعوب سواء في الثقافة والعلوم والزراعة والتجارة وكل النشاطات الاجتماعية.

3- محمد عمر: في عام 1902 صدر له كتاب حول "حاضر المصريين وسر تأخرهم" مبرزاً التركيبة الطبقيّة للمجتمع المصري.

4- بطرسي البستاني: دعا إلى عدم الاغترار بالغرب وضرورة دراسة عادات وتقليد السوريين.

5- نقولا حداد: يعتبر أول الدراسات الاجتماعية الجادة والتي توجت بكتاب تحت عنوان "علم الاجتماع حياة الهيئة الاجتماعية وتطورها" عام 1924 والذي يعتبر أول تأليف سوسيولوجي فكان الكتاب الوحيد في تأليفه والفريد في نوعه.

6- عيسى الاسكندر: في مجلة "ألف باء" في الشام أن العرب بحاجة إلى معرفة أصول علم الاجتماع وتدريبه في المدارس.

2- عبد الجليل الطاهر: قام " بدراسة حول المجتمع الغربي في شيكاغو عام 1952 ودرس " شهاب حاتم " الحركة الوطنية في العراق من منظور نفسي اجتماعي عام 1954.

ثم تأتي دراسات كل من " عاطف غيث "، محمد الجوهري، سمير نعيم " نساء الخوالي من بين الدراسات الاجتماعية المعاصرة التي تناولت دراسة البنى الاجتماعية كالأُسرة والمدرسة وكانت "أياد القزاز"، "عبد الجبار العريم".

ويعد " إبراهيم الحيدر " أحد أهم المفكرين السوسيولوجيين العراقيين الذين قدموا صورة حسنة عن الكفاءات العراقية في الغرب. (بوقة و همال، 2016، صفحة 235)

2. دور علم الاجتماع في الوطن العربي:

اتخذت معظم البحوث العربية في دراسة القضايا المجتمعية العربية، عن وعي وطواعية، ثلاثة اتجاهات تطبيقية متحوّلة: اتجاه إصلاحية، وهندسي، ثم علاجي.

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

أ- اصلاح المشكلات الاجتماعية.

أثرت الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الصعبة التي عاشها المجتمع العربي منذ فترة الخمسينات ، الحماس الاصلاحى الكامن لدى الاجتماعيين العرب وظنوا أن بإمكانهم أن يكونوا مقيدين في تحسين الظروف الاجتماعية الضاغطة وتخفيف الفوارق الاجتماعية ورفع الظلم و الاضطهاد ، ونشر العدالة والرخاء ، واعتقاد هؤلاء أن مهمتهم الانسانية النبيلة لا تتطلب منهم إلا قوة الوازع الديني ، وحيوية الحس الاخلاقي ، أو توفر (النوايا الحسنة) فسارعوا في سبيل ذلك إلى علمهم ليمدهم بما وصفه باحث مبكر منهم ، (بإصلاحات مدروسة لا تعرف الارتجال وإنما تقوم على أبحاث علمية صحيحة لإصلاح حال العامل والفلاح والنهوض بالرفاهية الاجتماعية) .

ب- هندسة المشكلات الاجتماعية.

تحول التفكير هنا نحو الاتجاه بإعادة تنظيم المجتمع - وهو الذي يلفت بازياد من بين أيدي الاجتماعيين - على ضوء نماذج العلوم الاقتصادية ، تعويض عن احباطات مهمة لعل أهمها فشل صياغة علم الاجتماع وتطبيقاته على غرار العلوم الطبيعية ، وقد عنت الهندسة الاجتماعية لديهم نوعا من التخطيط في بيئة الاجتماعية والثقافية للجماعة يستهدف (حسن تكيف وتوثيق العلاقات الاجتماعية عن طريق تغيير الوظائف والمكانات والأدوار الاجتماعية بما يقتضيه الحل الدائم) ، ولما لم يعد تنظيم المجتمع كما خططوا له ، ولما تجف مصادر المشكلات الاجتماعية والوانها ، تحول مفهوم الهندسة الاجتماعية عندهم إلى أكثر جاذبية وعصرية وهو (التنمية الاجتماعية) .

ج- تطيب المشكلات الاجتماعية.

استغل الاحتراف المهني بالمفهوم الطبي منذ الخمسينات من القرن كأداة ممكنة لعلاج مشكلات اجتماعية مرضية كالانحراف، والجريمة، والتفكك والتخلف الاجتماعي، والتضخم السكاني، والعمالة الاجنبية ولقد لاقت هذه الموضوعات رواجاً خاصاً ووجدت تحويلاً وطنياً واجنبياً سخياً، لدرجة أن علم الاجتماع قد ارتبط في أذهان الناس لفترة من الزمن كعلم لعلاج المشكلات الاجتماعية. (عزت حجازي و و اخارون، 1989، الصفحات 194 - 196)

مثلاً يذكر " الفراز " أن من أهم أسباب قيام علم مستقل للاجتماع في بغداد أوائل الخمسينات أن وزارة التربية والتعليم قد أدركت أهمية علم الاجتماع (كأداة لتحسين الظروف الاجتماعية في المجتمع العراقي وكوسيلة للتغلب والتخلص من المشكلات الاجتماعية التي يواجهها المجتمع).

ولا يمكن الإنكار أن الدراسات الاجتماعية قد تساعد في ظروف مهيأة في تشجيع مداخل أكثر واقعية في تعريف وتأطير المشكلات الاجتماعية، وترشيد سياسات أكثر عقلانية لتعامل معها.

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

ومع هذا يجب أن لا يدل الانتاج الكمي الهائل المرتبط بصورة الأمبريقية المجزأة والمقيدة سياسيا وتمويليا على تحقيق معرفة سوسيولوجية حقيقية متراكمة بقدر ما يجب ان ينبىء اليوم عن اعادة انتاج تراث الفقر السوسيولوجي والايديولوجي الغربي بصورة عربية مألوفة ، فنجد مثلا بحوثا متعددة في علم اجتماع الجريمة والانحراف والمشكلات الاجتماعية ولكن دون نظرية ذات صلة سوسيولوجية بعلم اجتماع المشكلات الاجتماعية في المجتمع العربي ، ونجد دراسات مجزأة لتأثير وسائل الاتصال الجماهيري في المجتمع دون نظرية سوسيولوجية شاملة لعلم اجتماع وسائل الاتصال والمجتمع العربي ، كما نجد مراجعات عديدة لأدبيات علم الاجتماع ، ولكن دون نظرية محددة لعلم اجتماع الأدب للمجتمع العربي . (عزت حجازي و و اخارون، 1989، صفحة 197)

حدد ابن خلدون دور أو أغراض علم العمران (علم الاجتماع) بنوعين:

" (أ) أغراض مباشرة : تتلخص في ضرورة الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية ووظائفها ، والوقوف على القوانين التي تخضع لها (أغراض نظرية) .

(ب) أغراض غير مباشرة : تتلخص في الانتفاع بحقائق الاجتماع وقوانينه في حقائق التاريخ وتحليل الأخبار ، وتعليل الأحداث (أغراض عملية) " . (احمد رافت ، 1982 ، صفحة 12)

ثالثا: قضايا علم الاجتماع العربي وأولويات البحث السوسيولوجي

1. القضايا المجتمعية العربية: بين الشكل والمضمون.

"عرف علم الاجتماع العربي، منذ قيامه، قضايا مجتمعية رئيسة شكلت تحديا مستمرا لمزاعمه في الفائدة المجتمعية العامة واختيارا حقيقيا لمصادقية علمائه في الموضوعية العلمية ومن اهم تلك القضايا:

- تأصيل الصراع العربي - الاسرائيلي.
- رسوخ التبعية الايديولوجية والاقتصادية والاتصالية.
- غياب الديمقراطية الفعلية.
- سيطرة قوى التجزئة والتخلف وتعميق الاختلافات الاجتماعية.
- تكريس البلاد الاجتماعية واللامبالاة السياسية.

ومع أن هذه القضايا النظرية، أو ما يمكن أن تترجم إليه من اشكاليات بحثية، هي قضايا اجتماعية تتسم بالجدية والسوسيولوجية ، واللهجة النشطة التي عرفها علم الاجتماع مؤخرا على ايدي قلة من الباحثين ، فقد حافظ معظم

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

الاجتماعيين العرب إلى اليوم على تجنبها (كمناطق تماس حساسة) (كمحظورات سياسية) أو (كمناطق سوسولوجية منسية) تقع في مكان ما خارج دائرة الاختصاص .

واصبحت هذه القضايا الحيوية بذلك دراسات بينية وموضوعات محيطية أو اشكالا هامشية غير منتمية ". (عزت حجازي و و اخارون، 1989، الصفحات 176 -177)

وهناك أربعة مؤثرات تسببت في تحول القضايا المجتمعية العربية المهمة إلى مجرد مشكلات اجتماعية تقليدية مفرغة من مضامينها السوسولوجية والسياسية والايديولوجية لتطابق مع المسارات التي اتخذتها وجمدت بها في المجتمعات الغربية الصناعية.

1. **الانشغال بالمفاهيم التحليلية الغربية:** يكتب رجال العرب، والمفاهيم التحليلية الغربية تغطي على محيطهم الفكري، فلم يطوروا إلا قليلا من المفاهيم التحليلية الاصلية التي تساعد على فهم الواقع الاجتماعي العربي وتتوجه إلى تغييره، ولم يظهر لسنوات طويلة في التراث الأوروبي لعلم الاجتماع، فيما يتصل بالمشكلات الاجتماعية التقليدية على الاقل، إلا تطابقا مع المفاهيم النظرية الغربية بمسلماتها وافترضاها وارتباطاتها.
2. **الانشغال الكلي بالأساليب والأدوات المنهجية:**

إن الانشغال الكلي بالمفاهيم النظرية السابقة يتبعه دائما اتباع أساليب بحث مطابقة ويمكن، بشيء من الأمان، وصف معظم البحوث العربية التي انتجتها الجامعات ومراكز البحث العلمي العربية منذ الخمسينات إلى منتصف السبعينات من هذا القرن بأنها تستند إلى الوضعية . بصورها القديمة والمعادلة . كأساس منهجي . وهذه البحوث من الكثرة بحيث تشكل تيارا سائدا يعد الخروج عليه أو التعديل فيه انحرافا

منهجيا. ويمكن فهم سعي الباحثين المستمر للأخذ بالوضعية كأساس منهجي هو إغراقها الدائم بتقديم نوع من المعرفة العلمية والفنية في آن واحد.

3. **تجمد اشكاليات البحوث:**

تسيطر على دراسة المشكلات الاجتماعية العربية، رغم حيويتها، اشكاليات بحثية سطحية متكررة تأخذ شكل موضوعات مترسبة في التراث الأدبي لعلم الاجتماع، وقد أخذ الاجتماعيون العرب مفهوم (المشكلات الاجتماعية) كما تجمد في المجتمعات الغربية الصناعية (ربما منذ أيام سطوة مدرسة شيكاغو في العشرينيات من هذا القرن) ووجدوا له تطبيقات عربية. فلم تخرج اشكاليات البحوث العربية، بذلك عن انماط سلوكية، وافعال انحرافية وقيم باثولوجية أو ظواهر مشكلة قابلة للملاحظة والقياس كاختلالات فردية واختلافات ثقافية أو وصمات اجتماعية.

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

ومن الموضوعات التي عوملت كمشكلات اجتماعية عربية وعالجها المركز القومي للأبحاث الاجتماعية والجنائية العراقي منذ تأسيسه عام 1955 إلى عام 1970 ما يلي: جنوح الاحداث، الزنا، تعاطي المخدرات، الطلاق، مجتمعات العجر، ضواحي بغداد المختلفة اجتماعيا، المؤسسات التأديبية الاصلاحية، دور المرأة العراقية العاملة في الخدمات الاجتماعية، المرأة العراقية العاملة.

4. الارتباط بتوجه النتائج:

يبدو أن الاجتماعيين العرب قد توصلوا إلى اقتناع، بالاستفادة من التجارب غير المريحة التي مر بها تطبيق العلم إلى واقع ملموس في المجتمعات الصناعية، بأن الاستفادة المجتمعية لا يمكن أن تتحقق دون توفر متطلبات مسبقة، منها ضرورة احتراف ممارسيه بتطبيق مهارات فنية وعلاجية متقدمة توصلهم إلى كم هائل من المعلومات العلمية من جهة، وأهمية نيل قبول صانعي القرار السياسي من جهة أخرى. (عزت حجازي و و اخارون، 1989، الصفحات 187-194)

2. أولويات البحث السوسيولوجي في العالم العربي: هناك مجموعة من الأولويات نذكر منها.

1- تطبيق نفس المقتربات على الإرث العلمي كيفما كان مصدره: ينبغي تطبيق نفس التوجهات النظرية بغض النظر

عن جنسياتهم وتوجهاتهم الأيديولوجية، ولكن كون الباحث الاستعماري أو الباحث القومي أو الباحث العربي أو الإسلامي أو الماركسي له أخلاقا وأيديولوجيات مختلفة أو متعارضة، يجب مراعات توجهاتهم النظرية، ووضعيتهم الاجتماعية (أستاذ جامعي، خبير، مثقف ملتزم، مسؤول استعماري)، من خلال معرفة آثار التوجهات الإيديولوجية النظرية والوضعية الاجتماعية على المعرفة المنتجة.

2- تحديد توجهاتنا النظرية بصفة صريحة: من الأهم أن لا نكتفي بالتعليق على أعمال الآخرين، فمن الضروري

ترجمة مواقفنا وتوجهاتنا النظرية إلى أبحاث ملموسة لمحاولة النجاح، إن الدراسات النظرية والمنهجية ضرورية، ولكن هنا أيضا يجب أن تضم أمثلة وفيرة وتوضح الأسئلة النظرية المطروحة، أمثلة مسقاة من الأدبيات العربية والعالمية، في هذا الصدد، نفتقد للأسف للكتب والمداخل النظرية والمعاجم النقدية، وهي أدوات لا غنى عنها لتقديم دراسات تركيبية لأهم الأعمال والنظريات السوسيولوجية، على المستويين الدولي والعربي .

3- تطوير البحوث الإمبريقية المؤسسة نظريا: لا يمكن تحسين المنتج السوسيولوجي دون تحقيق توازن معين بين

الأعمال النظرية البحثية والأعمال الإمبريقية المستندة إلى نظريات.

4- الانفتاح على المحيط الاجتماعي والسياسي: على الباحث الانفتاح على محيطه الاجتماعي والسياسي،

وتختلف درجة وقوة هذا الانفتاح باختلاف قناعات الباحثين ودرجة انفتاح النظام الساسي ووسائل الإعلام وتناميت المجتمع المدني.

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

- 5- تعزيز السوسيوولوجيا التطبيقية: يمكن للباحث أن يلعب أيضا دور الاستشاري وأن يشارك في بحوث إجرائية.
6- إما ان يكون البحث متعدد اللغات او لا يكون:

تعد التعددية اللغوية إحدى أسس البحث الجيد، فإما أن يكون البحث متعدد اللغات أولا يكون، ويمكن أن تختلف نسب اللغات من دراسة إلى أخرى، لكن الأهم أن يكون لدى الباحث القدرة على الكتابة والقراءة بثلاث لغات على الأقل، نحن مجبرون على تجنب العزلة اللغوية في التعليم والبحث. (رشيق ، 2022 ، صفحة 9)

رابعا: في استشراف مستقبل علم اجتماع العربي والاجتماعيون العرب والقضايا المجتمعية العربية.

1. في استشراف مستقبل علم الاجتماع في الوطن العربي:

أولا: العوامل التي حجمت مسيرة علم الاجتماع - حصاد جهود سابقة. يفيد تحليل الجهود العربية المختلفة التي عنيت بتشخيص أوضاع علم الاجتماع التاريخية والمعاصرة في الوطن العربي، في استنتاج وجود مجموعتين من العوامل أثرتا في نشأة العمل وتطوره.

تركز المجموعة الأولى على العوامل الخارجية: الاستعمار والتبعية والأساليب المختلفة، المباشرة وغير المباشرة، والواضحة والموارية التي يستخدمها النظام الرأسمالي العالمي، لصياغة نسق معرفي دولي يرتبط بهذا النظام ويعبر عن مصالحه، ويخدم أغراض حسم الصراع في اتجاه هذه المصالح.

وتعني الثانية بالعوامل الداخلية المرتبطة بالأوضاع الداخلية لبنة المجتمع العربي، وفي مقدمتها انحسار الديمقراطية والوعي الرسمي بمهام علم الاجتماع وتوجهات الطبقات المسيطرة نحوه.

أدى هذا إلى الربط بين غياب النقد لمنتج علم اجتماع، وبين التبعية للفكر الغربي الأوروبي والأمريكي. (عزت حجازي و و اخارون، 1989، الصفحات 362-363)

ثانيا: إطلالة على المستقبل بافتراض استمرار العوامل الحاكمة:

بينت المناقشات أن المشتغلين بعلم الاجتماع هم العامل الجوهري والحاكم في مسيرة العلم. فهم بؤرة تفاعل العوامل الخارجية، والعوامل البنائية الداخلية، هم ناقلوها ومعيدو إنتاجها، وهم الدفاع ضدها، لمقاومتها، أو التخفيف من وطأة تأثيرها. (عزت حجازي و و اخارون، 1989، صفحة 373)

2. الاجتماعيون العرب والقضايا المجتمعية العربية: نظرة مستقبلية

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

" يتبع معظم الاجتماعيون العرب ، بمفاهيم النظرية واشكالياتهم البحثية وتوجيه نتائجهم إلى ماضي العلوم الاجتماعية ، أكثر مما ينتمون إلى حاضرها أو مستقبلها في المجتمع العربي ، وإذا كان هناك حقا عهد ذهبي لعلم الاجتماع العربي فذاك بالتأكيد عهد لم نعشه بعد رغم أن المجتمع العربي يعيش اليوم بصورة مثالية ، متطلباته الفكرية ومناخه السياسي وارتباطاته الأيديولوجية ، فلم يعد جوائز بعد أكثر من نصف قرن من الزمان أن ينصب النقد على عدم توضيح علم الاجتماع العربي بنظرياته ومناهجه ، ولكن هناك مبررات جيدة لأن يوجه النقد حول مدى صلة موضوعاته ، وأن تثار المخاوف والشكوك حول استعمالاته ، وبالأحرى سوء استعمالاته في المجتمع العربي . وتلك قضايا متصلة بإشكاليات علم الاجتماع ، وممارسات باحثة وتطورات محترفيه .

ويجب الاعتراف اليوم أن علم الاجتماع العربي لا يستطيع أن ينمو إلا بالقدر الذي يطور فيه مفاهيم نظرية ، وأدوات منهجية ، ومستويات مهنية ، يقيم بها جميعا صلة مجتمعية فعلية ، وليس بالقدر الذي يكرس فيه رجال عقائد محافظة أو ينمون تيارات راديكالية " (عزت حجازي و و اخارون، 1989، الصفحات 197-198).

"إن القضايا المصيرية للإنسان العربي أقوى من أن ينبذها علم الاجتماع بإهمال الدواعي (الموضوعية) المتجمدة ، أو تجنبها هروبا من عجز مهني أو خشية رد مؤسسي ، كون تاريخ علم الاجتماع كله فوق كل شيء ، وتاريخ للإيديولوجيات المتخاصمة وعلماء الاجتماع جزء من هذا الصراع ، فإنهم لا يجدون غير التزامهم المجتمعي ضمانا وحيدا لخلق واستمرار صلة مجتمعية لعلومهم ومصداقية لممارساتهم ، وذلك الالتزام يتعدد بتعدد مصادر وارتباطات قضايا الانسان العربي المعاصر بما يقضيه من إعادة صياغة عالم الاجتماع العربي لمفاهيم علمه وإشكاليات بحوثه بقصد مواجهة التناقضات المجتمعية العربية والعمل على تجاوزها وتغييرها .

يرى عدد من علماء الاجتماع العرب أنه يمكن إقامة علم اجتماع عربي نابع من خصوصية المجتمعات العربية ومستمدا أصوله النظرية من تراثنا السوسولوجي ، وما يجسده " علي الوردي " الذي يعتقد أن التراث النظري الذي تركه لنا " ابن خلدون " يعتبر مصدرا هاما وأساسيا لبناء علم اجتماع عربي ، ورغم أننا لا يمكن أن ننكر الإسهام الذي قدمه " ابن خلدون " خاصة في تحليله لبنية المجتمع العربي وكشف تناقضاته والأسس التي يقوم عليها ولكن مع هذا يجب أن نحذر عندما نتكلم عن "ابن خلدون " إذ أنه في كثير من الأحيان نجد بعض الباحثين العرب قرأوا ابن خلدون وأعادوا الاتجاه صياغة أفكاره من خلال رؤية ماركسية بحتة وآخر من جسده هذا الاتجاه الباحث الجزائري "عبد القادر جفلول " عبر كتابه " الإشكالية التاريخية في علم الاجتماع الساسي عند ابن خلدون " .

إن الذين يتخذون من التراث أساسا لانطلاقة علم اجتماع عربي رغم اتفاقهم في المبدأ إلا أنهم يختلفون في النظرة إلى هذا التراث وكيفية دراسته إذ نجد كل من الاتجاه الماركسي " عبد الباسط عبد المعطي " والإسلامي " عادل حسين " يرفضون

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

علم الاجتماع الغربي بنظرياته المعرفية ويدعون إلى الانطلاق من واقعنا العربي ولكن من خلال رؤية أيديولوجية وقد تكون هذه الرؤية مستوردة كما نجد عند الماركسيين العرب.

إذن يشكل التراث العربي وفق هذه الرؤية الأساس والمصدر المناسب لتأسيس علم اجتماع عربي ، طالما أن النظريات الغربية نشأت في بيئة غير بثنتا العربية بيئة مغايرة ومختلفة جذريا ، وبالتالي فإن هذه النظريات رغم كفاءتها لا يمكن أن تكون أساسا لدراسة الواقع العربي إذ تبدو عاجزة أمام هذا الواقع وهذا مدفع الباحث " عادل حسن " إلى رفض كل النظريات الغربية التي يتهمها بالعنصرية والتحيز والقصور بل إنها نظريات معادية لنا وهو يدعو صراحة إلى تبني نموذج إسلامي لتأسيس علم اجتماع عربي " (دبلة ، 2001، الصفحات 179-180)

" إن الدعوة إلى إقامة علم اجتماع عربي مازالت أمنية تراود الباحثين السوسيولوجيين العرب ولم تتجسد على أرض الواقع رغم المؤتمرات والملتقيات التي عقدت في كل الأقطار العربية وعن أسباب هذا التأخر نكاد نجد بعض القواسم المشتركة بين الباحثين المفسرة لذلك من بينها الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تمر بها الشعوب العربية والتي تؤثر سلبا على وضعية علم الاجتماع كممارسة وكمهنة يقول "علي الكنز" أنه لم يتم حتى الآن بناء الحقل النظري اللازم لولادة العلوم الإنسانية أو العلوم الاجتماعية في البلدان العربية ورجع سبب ذلك إلى البيئة السلطوية التي تمنح للأنظمة السياسة حق التشريع في كل المجالات ، فالسلطة في البلدان العربية ترى كل خطاب غير منبثق عنها غير خاضع لسيادتها خطاب مناوئا لها " . (دبلة ، 2001، صفحة 281)

خامسا: واقع ومكانة علم الاجتماع في الجزائر.

1. واقع ومكانة علم الاجتماع في الجزائر:

يقول " جمال غريد " لاحظ " ريمون ارون " سنة 1934م بأن أشد ما يفتقر إليه علم الاجتماع الفرنسي هم علماء الاجتماع أنفسهم، أما ما نلاحظه اليوم على الساحة العربية فهو العكس تماما فأشد ما نفتقر إليه - نحن علماء الاجتماع العرب هو علم الاجتماع في حد ذاته.

وحول الوضعية التي آل إليها علم الاجتماع في الجزائر يرى " العياشي عنصر " بأن الموقف الرسمي اتجاه العلوم الاجتماعية اتسم بثلاث خصائص وهي:

- 1- انتقاص القيمة العلمية للعلوم الاجتماعية عموما وعلم الاجتماع خصوصا.
- 2- تجاهل الدور الحقيقي الذي يمكن أن يلعبه علم الاجتماع في التأثير على التحولات الجارية في المجتمع.

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

3- في الوقت نفسه هناك محاولة الاستفادة من الفرص التي تقدمها العلوم الاجتماعية عموما في بسط الهيمنة، والحفاظ على السيطرة التي تتمتع بها النخبة الحاكمة سواء في المؤسسات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

كما قدم أربعة عوامل رئيسية مسؤولة عن وضعية علم الاجتماع في الجزائر وهي:

- 1- سيطرت السياسي على العلمي.
- 2- عدوانية المجتمع وانفلاته.
- 3- ضعف منظومة التكوين.
- 4- إهمال البحث وتهميشه.

ويتميز علم الاجتماع في بلادنا بقلة الإنتاج، فهناك غياب شبه كلي للمشتغلين بعلم الاجتماع بالرغم من الأحداث التي عاشتها الجزائر، وفي هذا الصدد يقول " عبد الرزاق جلالي " انحصر البحث الاجتماعي أساسا فيما يسمى (بحث تكوين) أي تحضير حملة شهادات عليا (ماجستير أو دكتوراه). (درديش، الصفحات 93-94) وهذا يدل على أن السوسولوجين توقف عن الإنتاج الفكري والعتاء.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى أن المنشغلين في علم الاجتماع العربي لم يستطيعوا إلى الآن إضفاء هوية خاصة بعلم الاجتماع في الوطن العربي ، وصياغة نظريات للواقع الاجتماعي العربي أو المسلم ، نستطيع من خلالها فهم الأحداث الاجتماعية وخصوصيتها العربية وتفسيرها ، بسبب التبعية للغرب خاصة في النظريات التي تمخضت عن خصوصية المجتمعات الغربية والأمريكية ، بهدف شرح وتفسير القضايا والظواهر الاجتماعية للمجتمع العربي ، متناسين أن علم الاجتماع هو وليد بيئته وظروفه التاريخية والاجتماعية ، وبذلك أهمل العلماء المجتمع العربي ارتباطهم وانتماءهم بمجتمعهم وبقضاياها العربية والإسلامية ، ما أضعف النتاج النظري الذي يؤطر لمجريات الأحداث التي يمر بها المجتمع العربي .

التوصيات:

1. إعادة الاعتبار لعلم الاجتماع في الوطن العربي والاهتمام به كعلم مستقل من حيث خصائص المجتمع العربي والمسلم عما هو موجود في الغرب والمجتمع الأمريكي.

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

2. ضرورة الاهتمام بالقضايا العربية بين الماضي والحاضر ومحاولة ربطها ومعرفة أسبابها بهدف إنقاذ المجتمع العربي من التدهور والتخلف والتبعية.
3. العمل على توحيد علم الاجتماع والفروع المرتبطة به لفهم مختلف الظواهر الخاصة بمجتمعاتنا العربية بهدف النهوض بهاذه المجتمعات العربية ومعالجة مشاكلها.
4. العمل على تطوير نظريات عربية في علم الاجتماع مفسرة للمجتمع العربي منفصلة عن النظريات الغربية.
5. يجب عدم حصر البحوث الاجتماعية فيما يسمى ببحث التكوين أي التحضير لشهادات العليا، فعلم الاجتماع يهدف قبل كل شيء إلى دراسة المشكلات والظواهر ومحاولة تفسيرها.
6. يجب العمل على تطوير المفاهيم التحليلية الاصلية التي تساعد على فهم الواقع الاجتماعي العربي وتوجه إلى تغييره.
7. يجب التحرر من دراسة إشكاليات بحثية سطحية متكررة تأخذ شكل موضوعات مترسبة في التراث الأدبي لعلم الاجتماع.

قائمة المصادر والمراجع:

✓ الكتب:

- 1- احمد الرحمان رأفت، ع. (1982). مبادئ علم الاجتماع. القاهرة: مكتبة نهضة الشرق.
- 2- باقادر، ا.، & عرابي، ع. (2011). آفاق علم اجتماع عربي معاصر. لبنان: دار الفكر المعاصر.
- 3- 2انطوني، غ. (2005). علم الاجتماع. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- 4- رشيق، ح. (2022). أولويات البحث السوسولوجي في العالم العربي (تحليل مواقف ومقترحات). المغرب: مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية.
- 5-، ع. ا. (1999). علم الاجتماع النشأ والتطور. بيروت: دار المعرفة الجامعية.
- 6- عزت حجازي، م.، & وآخرون. (1989). نحو علم اجتماع عربي -علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

✓ المجالات العلمية:

كتاب أعمال الملتقى الوطني: علم الاجتماع وقضايا المجتمع "قراءة في ثنائية الدور والمكانة"

- 1-دبلة، ع. (2001). علم الاجتماع العربي والمناهج الغربية. مجلة الإحياء, 179-180.
- 2-بوقرة، ك.، & همال، ع. (2016). علم الاجتماع في الوطن العربي النشأة والدور. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية, 234.

✓ البحوث والمؤتمرات العلمية:

- 1-درديش، أ. (s.d.). واقع ومكانة علم الاجتماع في الجزائر.
- 2-بن عودة، ن. (s.d.). مكانة علم الاجتماع في الجزائر.